الصباح الإسلامية
AL-SABAH
www.alsabahpress.com Alsabah Media
No. 3944 | الإثنين | 12 أبريل 2021 م | السنة الرابعة عشرة

الشافعي أمير شعراء الحكمة

لقد تربع الإمام الشافعي على عرش إمارة الحكمة في الشعر العربي طوال أربعة عشر قرناً ولم ينجب الزمان له مثيلاً اذا ما استثنينا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الكرام ومن على منوالهم ممن كانوا روادا في العلم ... الإمام علي باعتباره باب مدينة العلم والشجاعة والحكمة في عصر النبوة الزاهر.

ولعل إضافة الأبيات التالية للشافعي تثري المائدة الشعرية المنثورة أدناه.. وقد تدفعنا الى حفظ أبيات الحكمة والزهد والمديح النبوي التي جاء بها أبو تمام وأبو العتاهية والبوصيري وأحمد شوقي وغيرهم بعد عصر الشافعي.. فلنقرأ للشافعي في نصائحه وحكمه البليغة قوله:

إذا المرء

إذا الـمَـرءُ لا يَـرعـاكَ إلّا تَـكَـلُّـفـاً
فَـدَعْـهُ وَلا تُـكْـثر عَـلَـيـه الـتَـأَسُّـفَـا
فَـفِـي الـنّـاس أبْـدَالٌ وَفـي الـتَّـرْكِ رَاحَـةٌ
وفـي الـقـلـبِ صـبـرٌ لـلـحَـبـيـبِ ولـو جَـفَـا
فَـمَـا كُـلُّ مَـنْ تَـهـوَاهُ يَـهْـوَاكَ قـلـبُـهُ
وَلا كـلُّ مَـنْ صَـافـيْـتَـهُ لَـكَ قَـدْ صَـفَـا
إذا لـم يـكـن صَـفْـوَ الـفـؤادِ طـبـيـعـةً
فـلا خـيـرَ فـي ودٍّ يَـجِـيءُ تَـكَـلُّـفَـا
ولا خـيـرَ فـي خِـلٍّ يَـخُـونُ خَـلـيـلَـهُ
ويـلـقـاهُ مِـنْ بَـعـدِ الـمـوَدّةِ بـالـجَـفَـا
وَيُـنْـكِـرُ عَـيْـشـاً قَـدْ تَـقَـادَمَ عَـهْـدُهُ
وَيُـظْـهِـرُ سِـرّاً كـان بـالامـس قَـدْ خَـفَـا
فَـسَـلامٌ عـلـى الـدُّنْـيَـا إذا لَـمْ يَـكُـنْ بِـهَـا
صَـديـقٌ صَـدوقٌ صـادقُ الـوَعْـدِ مُـنْـصِـفَـا

واسمع الى قوله المتوازن والمعتدل في النظرة لأهل البيت والصحابة:

اهل البيت

إنْ كـان رفـضـاً حـبُّ آل مـحـمـد
فـلـيـشـهـدْ الـثـقـلان أنـي رافـضـيّ

وعلى منواله:

أو كـان نـصـبـاً حُـبُّ صَـحْـبِ مـحـمـد
فـلـيـشـهـدْ الـثـقـلان أنّـي نـاصـبـي

أحب الصالحين

أحـب الـصـالـحـين ولـسـت مـنـهـم
لـعـلـي أن أنـال بـهـم شـفـاعـة
وأكـره مـن تـجـارتـه الـمـعـاصـي
ولـو كـنـا سـواء فـي الـبـضـاعـة

يخاطبني السفيه

يـخـاطـبـنـي الـسـفـيـه بـكـل قـبـح
فـأكـره أكـون لـه مـجـيـبـا
يـزيـد سـفـاهـة فـأزيـد حـلـمـا
كـعـودٍ زاده الإحـراق طـيـبـا

شكوت إلى وكيع

شـكـوت إلـى وكـيـع سـوء حـفـظـي
فـأرشـدنـي إلـى تـرك الـمـعـاصـي
وأخـبـرنـي بـأنّ الـعـلـم نـورٌ
ونـور الـلـه لا يُـهـدى لـعـاصـي

تموت الأسد

تمـوت الأسـد فـي الـغـابـات جـوعـا
ولحـم الـضـأن تـأكـلـه الـكـلاب
وذو جـهـلٍ يـنـام عـلـى حـريـر
وذو عِـلـمٍ مـفـارشـه الـتـراب

ثمن الثياب

عـلـيّ ثـيـابٌ لـو يـبـاع جـمـيـعـهـا
بـفـلـس لـكـان الـفـلـس مـنـهـن أكـثـرا
وفـيـهـن نـفـس لـو تـقـاس بـبـعـضـهـا
نـفـوس الـورى كـانـت أجـل وأكـبـرا
ومـا ضـر الـسـيـف إغـلاق غـمـده
إذا كـان عـضـبـا أيـنـمـا وجـهـتـه فـرى

نعيب زماننا

نـعـيـب زمـانـنـا والـعـيـب فـيـنـا
ومـا لـلـزمـانـنـا عـيـب سـوانـا
ونـهـجـو ذا الـزمـان بـغـيـر ذنـب
ولـو نـطـق الـزمـان لـنـا هـجـانـا
ولـيـس الـذئـب يـأكـل لـحـم ذئـب
ويـأكـل بـعـضـنـا بـعـضـاً عـيـان

الدهر يومان

الـدهـر يـومـان ذا أمـن وذا خـطـر
والـعـيـش عـيـشـان ذا صـفـو وذا كـدر
أمـا تـرى الـبـحـر تـعـلـو فـوقـه جـيـف
وتـسـتـقـر بـأقـصـى قـاعـه الـدرر
وفـي الـسـمـاء نـجـوم لا عـداد لـهـا
ولـيـس يـكـسـف إلا الـشـمـس والـقـمـر

نيل العلم

أخـي لـن تـنـال الـعـلـم إلا بـسـتـة
سـأنـبـيـك عـن تـفـصـيـلـهـا بـبـيـانِ
ذكـاءٌ وحـرصٌ واجـتـهـادٌ وبـلـغـةٌ
وصـحـبـة أسـتـاذٍ وطـولُ زمـانِ

الصمت والنباح

قـالـوا سـكـتّ وقـد خـوصـمـت قـلـتُ لـهـم
إن الـجـوابَ لـبـاب الـشـر مـفـتـاحُ
والـصـمـتُ عـن جـاهـل أو أحـمـق شـرفـاً
وفـيـه أيـضـاً لـصَـوْن الـعـرض إصـلاحُ
أمـا تـرى الأسْـدَ تُـخْـشَـى وهـيَ صـامـتـةٌ
والـكـلـبُ يُـخْـشَـى لـعـمـري وهـو نـبّـاحُ
اذا رمـت ان تـحـيـا سـلـيـمـا مـن الاذى
وحـظـك مـوفـور وعـرضـك صـيـن
لـسـانـك لا تـذكـر بـه عـورة امـرئ
فـكـلـك عـورات ولـلـنـاس ألـسـن
وعـيـنـاك إن أبـدت إلـيـك مـسـاوئ
فـدعـهـا وقـل يـا عـيـن لـلـنـاس أعـيـن
فـلا يـنـطـقـن مـنـك الـلـسـان بـسـوأة
فـكـلـك سـوءات ولـلـنـاس ألـسـن
وعـاشـر بـمـعـروف وسـامـح مـن اعـتـدى
ودافـع ولـكـن بـالـتـي هـي أحـسـن

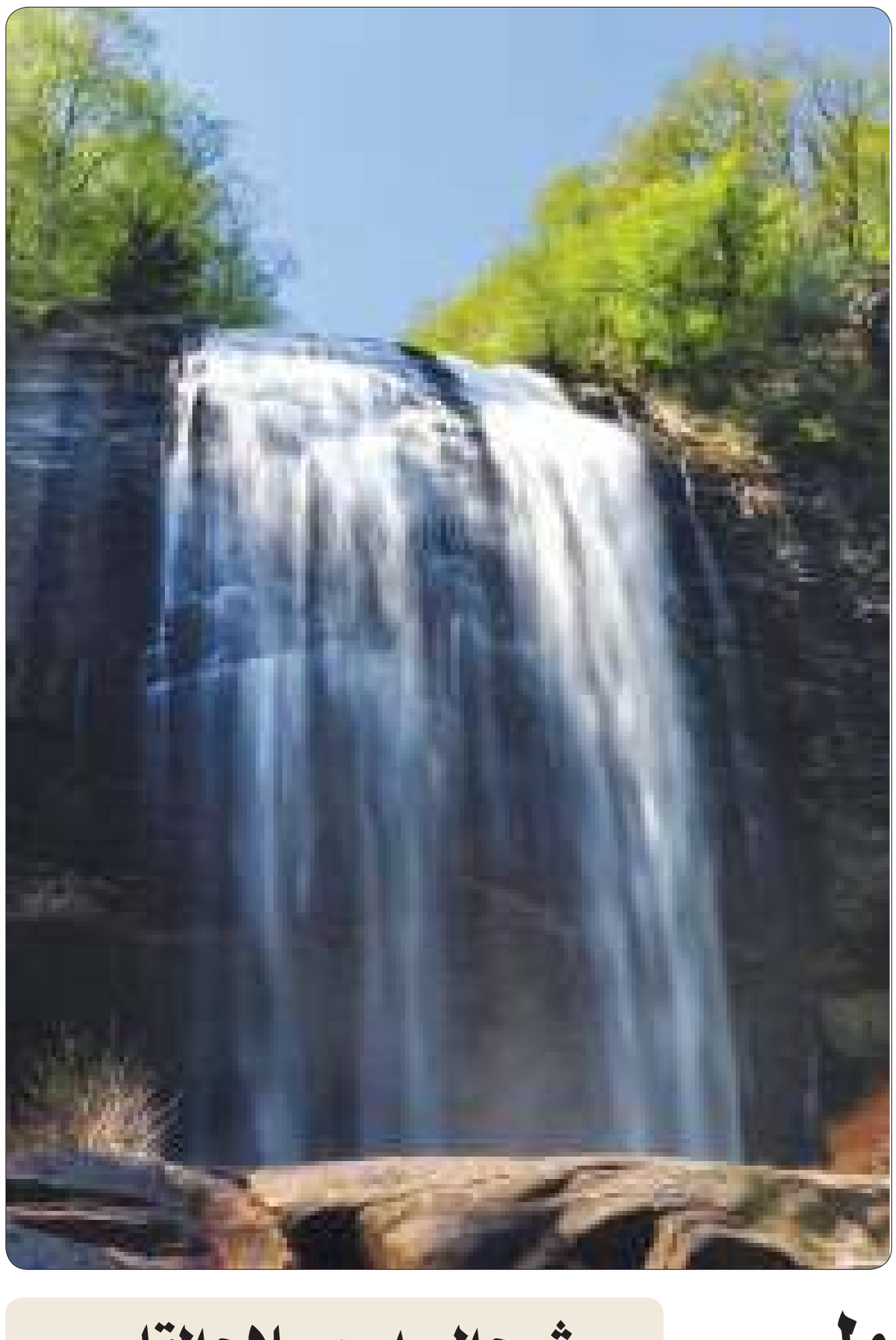

صناعة الحب عند أصحاب الرسول

عطش أبو بكر الصديق

قال أبي بكر رضي الله عنه: كنا في الهجرة وأنا عطشان جدا، فجئت بمذقة لبن فناولتها للرسول صلى الله عليه وسلم، وقلت له: اشرب يا رسول الله، يقول أبو بكر: فشرب النبي صلى الله عليه وسلم حتى ارتويت !! أجل (حتى ارتويت) الكلمة صحيحة ومقصودة، فهكذا قالها أبو بكر الصديق.

فهل حقا ذقت جمال هذا الحب؟ انه حب من نوع خاص ..!! أين نحن من هذا الحب!؟

حب النبي

واليك هذه ولا تتعجب، انه الحب.. حب النبي أكثر من النفس ، يوم فتح مكة أسلم أبو قحافة (أبو سيدنا أبي بكر)، وكان إسلامه متأخرا جدا وكان قد عمي، فأخذه سيدنا أبو بكر وذهب به إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليعلن إسلامه ويبايع النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم «يـا أبـا بكر هلا تركت الشيخ في بيته، فذهبنا نحن إليه» فقال أبو بكر: لأنت أحق أن يؤتى إليك يا رسول الله وأسلم أبو قحافة.. فبكى سيدنا أبو بكر الصديق، فقالوا له : هذا يوم فرحة، فأبوك أسلم ونجا من النار فما الذي يبكيك؟....تخيّل .. ماذا قال أبو بكر..؟

قال: لأني كنت أحب أن الذي بايع النبي الآن ليس أبي ولكن أبو طالب، لأن ذلك كان سيسعد النبي صلى الله عليه وسلم أكثر . سبحان الله ، فرحته لفرح النبي أكبر من فرحته لأبيه أين نحن من هذا الحب ؟

ثوبان رضي الله عنه

غاب النبي صلى الله عليه وسلم طوال اليوم عن ثوبان رضي الله عنه (وكان خادم الرسول) وحينما جاء قال له ثوبان: أوحشتني يا رسول الله، (وبكى) فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: أهذا يبكيك ؟ قال ثوبان: لا يا رسول الله ولكن تذكرت مكانك في الجنة ومكاني فذكرت الوحشة .. فنزل قول الله تعالى ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ (69) سورة النساء.

لا تكن أقل من جذع النخلة

كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب في مسجده على جذع الشجرة حتى يراه الصحابة قبل أن يقام له المنبر وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقف ويمسك الجذع، فلما بنوا له المنبر ترك الجذع وذهب إلى المنبر... فسمع الصحابة للجذع أنينا لفراق النبي صلى الله عليه وسلم، فما كان من النبي صلى الله عليه وسلم الا انه نزل عن المنبر وعاد للجذع ومسح عليه ، وسمعه الصحابة يقول له : ألا ترضى أن تدفن هاهنا وتكون معي في الجنة؟ سبحان الله فسكن الجذع.

شرح الصدر وصلاح القلب

قال ابن القيم الجوزية رحمه الله «فأعظم أسباب شرح الصدر»:

1 – التوحيد: وعلى حسب كماله، وقوته، وزيادته يكون انشراح صدر صاحبه. قال الله تعالى: ﴿أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه﴾ (الزمر: 22).

وقال تعالى: ﴿ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام، ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجاً كأنما يصعد في السماء﴾ (الأنعام: 125).

فالهدى والتوحيد من أعظم أسباب شرح الصدر، والشرك والضلال من أعظم أسباب ضيق الصدر وانحراجه، ومنها: النور الذي يقذفه الله في قلب العبد، وهو نور الإيمان، فإنه يشرح الصدر ويوسعه، ويفرح القلب. فإذا فقد هذا النور من قلب العبد، ضاق وحرج، وصار في أضيق سجن وأصعبه.

وكذلك النور الحسي، والظلمة الحسية، هذه تشرح الصدر، وهذه تضيقه.

2 – العلم: فإنه يشرح الصدر، ويوسعه حتى يكون أوسع من الدنيا، والجهل يورثه الضيق والحصر والحبس، فكلما اتسع علم العبد، انشرح صدره واتسع، وليس هذا لكل علم، بل للعلم الموروث عن الرسول صلى الله عليه وسلم وهو العلم النافع، فأهله أشرح الناس صدراً، وأوسعهم قلوباً، وأحسنهم أخلاقاً، وأطيبهم عيشاً.

3 – الإنابة إلى الله سبحانه وتعالى، ومحبته بكل القلب، والإقبال عليه، والتنعم بعبادته، فلا شيء أشرح لصدر العبد من ذلك. حتى إنه ليقول أحياناً: إن كنت في الجنة في مثل هذه الحالة، فإني إذاً في عيش طيب.

وللمحبة تأثيرٌ عجيبٌ في انشراح الصدر، وطيب النفس، ونعيم القلب، لا يعرفه إلا من له حس به، وكلما كانت المحبة أقوى وأشد، كان الصدر أفسح وأشرح، ولا يضيق إلا عند رؤية البطالين الفارغين من هذا الشأن، فرؤيتهم قذى عينه، ومخالطتهم حمى روحه.

ومن أعظم أسباب ضيق الصدر: الإعراض عن الله تعالى، وتعلق القلب بغيره، والغفلة عن ذكره، ومحبة سواه، فإن من أحب شيئاً غير الله عذب به، وسجن قلبه في محبة ذلك الغير، فما في الأرض أشقى منه، ولا أكسف بالاً، ولا أنكد عيشاً، ولا أتعب قلباً، فهما محبتان: محبة هي جنة الدنيا، وسرور النفس، ولذة القلب، ونعيم الروح، وغذاؤها، ودواؤها، بل حياتها وقرة عينها، وهي محبة الله وحده بكل القلب، وانجذاب قوى الميل، والإرادة، والمحبة كلها إليه.

ومحبةٌ هي عذاب الروح، وغم النفس، وسجن القلب، وضيق الصدر، وهي سبب الألم والنكد والعناء، وهي محبة ما سواه سبحانه.

4 – دوام ذكره على كل حال: وفي كل موطن، فللذكر تأثير عجيب في انشراح الصدر، ونعيم القلب، وللغفلة تأثيرٌ عجيب في ضيقه وحبسه وعذابه.

5 – الإحسان إلى الخلق ونفعهم بما يمكنه من المال، والجاه، والنفع بالبدن، وأنواع الإحسان، فإن الكريم المحسن أشرح الناس صدراً، وأطيبهم نفساً، وأنعمهم قلباً، والبخيل الذي ليس فيه إحسان أضيق الناس صدراً، وأنكدهم عيشاً، وأعظمهم هماً وغماً.

6 – الشجاعة: فإن الشجاع منشرح الصدر، واسع البطان، متسع القلب، والجبان: أضيق الناس صدراً، وأحصرهم قلباً، لا فرحة له ولا سرور، ولا لذة له، ولا نعيم إلا من جنس ما للحيوان البهيمي، وأما سرور الروح، ولذتها، ونعيمها، وابتهاجها، فمحرمٌ على كل جبان، كما هو محرم على كل بخيل، وعلى كل معرض عن الله سبحانه، غافل عن ذكره، جاهل به وبأسمائه تعالى وصفاته، ودينه، متعلق القلب بغيره. وإن هذا النعيم والسرور، يصير في القبر رياضاً وجنة، وذلك الضيق والحصر، ينقلب في القبر عذاباً وسجناً. فحال العبد في القبر. كحال القلب في الصدر، نعيماً وعذاباً وسجناً وانطلاقاً، ولا عبرة بانشراح صدر هذا العارض، ولا بضيق صدر هذا العارض، فإن العوارض تزول بزوال أسبابها، وإنما المعول على الصفة التي قامت بالقلب توجب انشراحه وحبسه، فهي الميزان.. والله المستعان.

7 – إخراج دغل القلب من الصفات المذمومة: التي توجب ضيقه وعذابه، وتحول بينه وبين حصول البرء، فإن الإنسان إذا أتى الأسباب التي تشرح صدره، ولم يخرج تلك الأوصاف المذمومة من قلبه، لم يحظ من انشراح صدره بطائل، وغايته أن يكون له مادتان تعتوران على قلبه، وهو للمادة الغالبة عليه منهما.

8 – ترك فضول النظر، والكلام، والاستماع، والمخالطة، والأكل، والنوم، فإن هذه الفضول تستحيل آلاماً وغموماً، وهموماً في القلب، تحصره، وتحبسه، وتضيقه، ويتعذب بها، بل غالب عذابaz الدنيا والآخرة منها.

صورة وآية

تكوير الشمس

نرى في هذه الصورة التي التقطت لأول مرة عام 2000 من قبل وكالة الفضاء الأمريكية، نجماً في نهاية حياته، يقول العلماء عن هذا النجم: إنه يقدم عرضاً لما سيحدث للشمس في نهاية عمرها، حيث سيخفت ضوؤها. هذا النجم الباهت الذي يظهر في الصورة أمامنا يسمى عين القط، والدائرة الزرقاء توضح الغاز الحار الذي يطلقه النجم أثناء موته، وهو يبث هذا الغاز بسرعة 4 ملايين ميل في الساعة، مما يزيد في انخفاض ضوء النجم. يقول تعالى: (إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ × وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ) (التكوير: 1–2). انظروا إلى دقة البيان الإلهي، فالنجوم سوف تنكدر أي تصبح باهتة، وهذا ما نراه أمامنا في الصور، إنها معجزة تستحق التفكر!